نَحنُ نَقُصُّ عَليكَ

سلسلة أعظم القصص ١٤٤٢ هـ

ولتَعْلم أنّ وَعْدَ الله حَق

قصة أم موسى عليه السّلام

tashweeqatq@gmail.com

@tashweeqatquran

قرآنية تشويقات

مركز دلائل
Dala'il Centre

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

قال البغوي : « إن فرعون استكبر وتجبر وتعظم في أرض مصر، وجعل أهلها فرقا وأصنافا في الخدمة والتسخير، يستضعف بني إسرائيل، فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وسمى القرآن هذا استضعافا ؛ لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم؛ إنه كان من المفسدين». **قال ابن كثير** : «وكان لفرعون قوابل يدرن على النساء، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط، فإذا ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاما دخل أولئك الذباحون، فقتلوه ومضوا قبحهم الله.

فلما حملت أم موسى به عليه السلام، لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها»، **قال الواحدي** : «فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته»، فلما وضعته ذَكرًا خافت عليه خوفا شديدا، وأحبته حبا زائداً، **قال ابن كثير**: «وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه، فالسعيد من أحبه طبعا وشرع».

إلهـــام الله عز وجل لأم مـــوسى:

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ : الوحي قال قتادة : « قذف في قلبها»، فكتمته أمه ترضعه في حجرها، قال ابن عاشور : «والإرضاع الذي أُمرت به يتضمن أن تخفيه مدة ترضعه فيها، وإنما أمرها الله بإرضاعه لتقوى بنيته بلبان أمه فإنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها، وليكون له من الرضاعة الأخيرة قبل إلقائه في اليم قوت يشد بنيته فيما بين قذفه في اليم وبين التقاط آل فرعون إياه وإيصاله إلى بيت فرعون».

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾ قال ابن عباس : «أن يسمع جيرانك صوته»، قال ابن عاشور : يعني خفت أن يُعرف خبره.

﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ قال الطبري :« أُمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبيّ بعد حال سقوطه من بطن أمه، واليمّ الذي أُمِرَت أن تلقيه فيه هو النيل». الذي كان يشق مدينة فرعون حيث منازل بني إسرائيل.

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ قال ابن عطية : «أخذته ولفته في ثيابه وجعلت له تابوتاً صغيرا وسدّته عليه ثم ألقته في البحر ليلاً، فلما غاب عنها عاودها بثها وأسفت عليه، وأقنطها الشيطان، فاهتمت به»، قال ابن عباس : «لما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان، فقالت في نفسها : ما فعلت بابني؟ لو ذبح عندي فواريته وكفنته لكان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى دواب البحر وحيتانه»، قال ابن زيد : «قال لها إبليس : فررت به من قتلٍ لكِ فيه أجر، وقتلتِ ابنك بيدك».

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

حالها بعد أن ألقت ولدها :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ [القصص: ١٠] .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾، قال الطبري : «من كلّ شيء، إلا من همّ موسى»، قال ابن زيد : ﴿ فارغا ﴾ من وعد الله تعالى أي تناسته من شدة همها على موسى، وفتر أثره في نفسها.

﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ : جملة لبيان حالها، أي : كادت تُظهر أمر موسى وتنطق باسمه من كثرة تردد ذكره في نفسها، وقلة ثبات فؤادها.

قال مجاهد : « لما رأت الأمواج حملت التابوت كادت أن تصيح » ، قال الطبري : « إن كادت لتقول : يا بنياه، وذلك أنها رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر، فخشيت عليه الغرق، فكادت تصيح، فذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنْ كَادَتْ لتبدي به ﴾ يقول : إن همّت لتشعر أهل مصر كلهم بموسى- عليه السلام- أنه ولدها.

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الزجاج: »ومعنى الربط على القلب : إلهام الصبر وتقويته» ، قال جمال الدين القاسمي : « شبه بربط الشيء المنفلت ليقر ويطمئن»، قال الطبري : « لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوفيقناها للسكوت من إظهار ذلك وقيله بلسانها، وثبتناها للعهد الذي عهدنا إليها»، قال ابن عاشور : « والربط على القلب : توثيقه عن أن يضعف كما يشد العضو الوهن، أي ربطنا على قلبها بخلق الصبر فيه».

﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ اللام في "لِتَكُونَ" : للتعليل، أي لتحرز رتبة المؤمنين بأمر الله الذين لا يتطرقهم الشك في يقينهم بربهم جل وعلا.

﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ قال الطبري : «إنا رادّو ولدك إليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه، وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله»، قال ابن إسحاق : « وجاعلوا نجاة بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه».

وصول موسى إلى قصر فرعون :

قال الله تعالى : ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ قال الطبري : « هو جزاء أخرج مخرج الأمر، كأن اليم هو المأمور، فألقاه اليم بمَشرّعة آل فرعون».

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ، قال الشوكاني : « والالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب»، قال مقاتل بن سليمان : «خرج لهم التابوت من بين الماء والشجر» ، قال ابن عاشور : « يدل على أن الذين انتشلوه جعلوه بين أيدي فرعون وامرأته فرقت له امرأةفرعون»، ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ : قال الطبري : «فأحبته آسية امرأة فرعون حتى تبنَّته، وأحبه فرعون حتى كفّ عنه عاديته وشرّه؛ فحببه الله إلى كل من رآه»، قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ : فصرفت فرعون عن قتله بعد أن همّ به»، لأنه علم أن الطفل ليس من أبناء القبط بلون جلوته وملامح وجهه، قال ابن عاشور: «ألقى الله على موسى محبة لتحصل الرقة لواجده في اليم، فيحرص على حياته ونمائه،ويتخذه ولدا».

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال قتادة : «أن هلكتهم على يديه، وفي زمانه»، قال الزجاج: « والعجب من حمق فرعون، فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقا عنده فما ينفع القتل، وإن كان كاذبا فلا معنى للقتل، إنه كان من المفسدين في الأرض بالتجبر».

عودة موسى عليه السلام لأمه:

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وبَصر الشيء صار ذا بصر به، أي قوة استعمال حاسة البصر، وهو التحديق إلى المبصر، قال ابن عاشور : « فبصرت بموسى عن بُعد لم تدن منه ولم تقرب، لئلا يعلم أنها منه بسبيل »، قال الطبري : « جعلت تنظر إليه كأنها لا تريده».

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

قال الله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ والتحريم: المنع، وهو تحريم تكويني، أي قدّرنا في نفس الطفل الامتناع من التقام أثداء المراضع وكراهتها؛ ليضطر آل فرعون إلى البحث عن مرضع يتقبل ثديها»،ومن مقدمات تدبير الله ذلك أن جعل الله إرضاعه من أمه مدة تعوّد فيها بثديها».

﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ فلما وجد الصبي ريح أمه قَبِل ثديها، قال ابن كثير : « جعل الله ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة، بعدما كانت خائفة؛ إنفاذاً لوعده لمن توكل عليه وتيقن بنصرته»، قال ابن عباس: « ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وهي لا تعرف أنها أمه في

الحقيقة، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلا وأولادا، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة».

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾

قال ابن كثير : « فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا في عزّ وجاه، ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل: يوم وليلة، أو نحوه، فسبحان من بيديه الأمر».

فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين، فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعا وشرعا.